

لُغَةُ الْعَرَبِ

مَجَلَّةٌ شَهْرِيَّةٌ إِدْبِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ

من السنة ٥

الجزء ٥

أسرة ترزي باشي

Terzi Bashi et sa Famille.

١ - تمهيد

كنا قد تعينا القراء الكنتس سيدي أصفر (٥ : ٦٤) ووعدناهم أن نوافيهم بترجمتها وترجمتها أسرتها وإلى هذا الحين لم يتسع لنا المجال لأدراج المقال. فجبنا اليوم بهذا السطور انجازا لما وعدنا به .

٢ - تعريف بيت ترزي باشي

في نحو أوائل الربع الأخير من القرن الثامن عشر للميلاد ، أقبل من ديار بكر (آمد القديمة) خياط أرمني غير كاثوليكي صناع اليد اسمه : « الياس آغا » (١) ترزي باشي (٢) وما كاد يلقي عصاه حتى أقبل عليه أغلب كبار القوم ليخطوا عنده كل ما يلبسونه من الثياب .

واتفق أن كان في بغداد يومئذ البطريرك يوحنا هرمز اسقف الموصل

(١) ورد ذكره بهذه الصورة في كتاب « عناية الرحان . في هداية السريان » للسيد

ديونوسيوس أفرام نقاشة في ص ٣٩١ .

(٢) ترزي باشي كلمتان تركيتان معناهما : « خياط رئيس » وكان يلقب به من يخط

لكبار الحكام أو الولاة أو رؤساء الجند .

النسطوري سابقا، والبطريك الكلداني بعد ذلك، وكان قد ساهم معه البطريك ايليا النسطوري مطرانا سنة ١٧٧٦ ليكون خليفته بعد موته بحق الارث، على مالوف عادة النساطرة الى هذا العهد. ولما كان مات معه ايليا المذكور سنة ١٧٨٠ انتصب على السدة البطريركية وجحد النسطورية وصبا الى الكاثوليكية؟ ولكن بقي ردحا من الزمن معدودا مطرانا فقط للموصل حتى اثبت بطريركيته البابا يونس الثامن سنة ١٨١٠ وكان الحبر الاعظم لاون الثاني عشر ازال في سنة ١٨٢٨ تمييز بطريرك ديار بكر (آمد) عن بطريرك الموصل، وحصر البطريركية في واحد يلقب ببطريرك بابل ويجلس في الموصل.

اذن كان البطريك حنا هرمز في بغداد سنة ١٨٢٨، فاقنع الياس اغا ترزي باشي بان ينكر مذهبه ويأخذ بمذهب الكاثوليك ففعل. ولما لم يمكن يومئذ للارمن الكاثوليك كاهن خاص بطائفتهم، انضم الى الكلدان (١)

وتزوج الياس آغا ورزق ابنين وابنتين. اسم الابن الواحد «عوش» (وهو تصغير عبدالله من باب التحبيب) واشتهر بالخطاطة كنيه فلقب هو ايضا بترزي باشي عند الوالي واصحاب الامر وفي مقامه هذا اذى خدما لامعصى لنصارى بغداد، ولا سيما تجاههم من مظالم عديدة كانت تحل بهم كل يوم الوانا — واسم الابن الثاني «خضر» والعامية ترقق الضاد وتقول خدر. — واسم الابنة الواحدة «مروشي» (اي مريم من باب التحبيب) واسم الاخيرة «سارقه» ولما شب خضر رسمه البطريك حنا هرمز شماسا فاشتهر بعد ذلك بالشماس خضر (٢). وتزوج ابنة اسمها مريم فولدت له ولدين وهما الياس وحنا.

(١) اخذ الكهنة الارمن الكاثوليك يتواردون الى بغداد بلا انقطاع البتة منذ اوائل الربع الاخير من القرن الثامن عشر.

(٢) معنى الخضر في اصل وضعه: الاسمر او الاسود. ووضع تحريبا للكلمة (فخاص) المصرية التي معناها كذلك. وكان فخاص غيورا على دينه فاطلق بعده على كل من يفسد على معتقده. فوصف به الياس النبي حتى اشتهر به أكثر من سواه فيقول اجدادنا الخضر الياس» ونصارى سورية وفلسطين نعموا بالخضر القديس جرجيس بل قد يستغنون بالتمتع عن المنعم، فيقولون الخضر وهم لا يريدون الا هذا القديس وليس سواه. وكنا قد انشأنا مقالة في نحو ستين صفحة من هذه المجلة لتأييد هذا الرأي فاكتملتا بهذه الزبدة ربما يتسم لنا للجال فتأني بالشواهد للطولة اثباتا لذلك.

فتزوج الياس مرومة بنت انطون نعيم (١) فرزق منها اربع بنات وابنا .
اما الابن يوسف فذهب الى ايران للتجارة واقام في جلفا قرب اصفهان وهناك
توفي من غير ان يخلف عقباً . واما البنات فهن لوسي وكثرينة واشموني
وسيدي ريجينة .

فلوسي تزوجت رفائيل بن عبدالمسيح الماردني .
وكثرينة تاهلت بتوماس بعوش الذي توفي بعد حين فتزوجها واسيلاكي
الصيدي الرومي .

واشموني تزوجت حنا بن بهنام التقار الذي اشتهر بعد ذلك باسم حنا التقار
وهو موصل الاصل .

اما سيدي ريجينة التي من اجلها قدمنا كل هذا المقدمة فنونك ما تعرف
عنها منذ صغرنا .

٣ - الكفتس سيدي امير

سيدي ريجينة بنت الياس ابن الشماس خضر بن الياس آغا ترزي باشي
الديار بكري (او الآمدي) ، عملت في ١٥ ايار سنة ١٨٤٦ ، عملها القس
انفراوس هندي الكلداني وكانت عرابتها هلوش ؛ ولما ترعرعت ، اظهرت من
الذكاء والتقى والعبادة مايميزها عن جميع اترابها ، وقد تلقت آدابها الاولى عن
الراهبات الوطنيات الاوائ كن يومئذ في بغداد ، وكان يعرفن باسم « عابدات
الله » ؛ ولما ظهر لها مافي الدنيا من المخاطر ، ارادت ان تستسب الى الدرجة
الثالثة من رهبانية الكرمل ، فطلبت الى رئيس الدير (وكان يومئذ الاب مارية
يوسف ليسوع) ان يعنى بامرها . فبعثها مع رفيقاتها الى دير راهبات المحبة
في بيروت سنة ١٨٦٨ لتتعلم مايجب تلقيه قبل ان تنخرط في السلك الذي
تتوق اليه .

وفي سنة ١٨٦٩ ذهب الاب مارية يوسف الى رومة ، وفي عودته من رومة
مر بيروت فالتقى في كنيسة راهبات المحبة نذر الالبتة سيدي ريجينة مع سائر
(١) بالتصغير اي بتصغير نعيم ويكون بضم النون وفتح الين وكسر الياء للشدة
وفي الاخر ميم .

رفيقاتها تا كوهي (١) وسُميت بريجيتة وهي ابنة حنا «أبو الرماح» ابن الشمامسة
خضر بن الياس آغا ترزي باشي وماري راندكويست.
وبعد ذلك بقليل عادت الى بغداد بعد ان تعلمت اشغال الابرة واصول اللغة
العربية والفرنسية .

ولما جاءت الى بغداد رأت رفيقاتها انها اذكاهن واتقاهن فعينها رئيسة لهن
بعد ان فتح لهن دير هو دير المنسوبات الى الدرجة الثالثة المذكورة .
وكن جميعا عشرا مع كامل انهن يزدندن مع الزمن ، ليساعدن بعد ذلك المراسلين
الكرملين في مهنتهم اي ان الرهبان يغنون بهذيب البشني والثالثيات الكرمليات
بهذيب البنات .

بقي هذا الدير للراهبات يسير سيرا حسنا ، إلا ان القاصد ماري لويس
ليون النمكي — وكان سابقا رئيس مبعث النمكيين في الموصل الذي رسم في
١٧ نيسان ١٨٧٤ قاصدا لما بين النهرين — زار الدير زيارة قانونية فتعجب من
تقوى اولئك الثالثيات ومن فقرهن ومن تفانيهن في سبيل حب القريب ونفسه
من غير ان يكون لهن وسائل مالية يواصلن بها اعمالهن ، ورأى من الواجب ان
يطلق الحرية لهن وان كن قد رضين بحالتهن تلك . وهكذا فرقبن واباح لهن
ان يرجعن الى بيوتهن او يذهبن الى ديارات تغزر فيها وسائل المعيشة ، كما
اكد لهن ان لامانع من زواجهن لانهن لم يشذنن إلا لنذر المنسوبات الثالثيات .
وهذا النذر لا يمنع اصحابه (ذكورا كانوا او اناثا) من التزوج والعناية
بالاولاد . فمن هذه الشواب جماعة ذهبت الى سائر الديرة وبعضهن اقمن في
البيت واخريات تزوجن .

ولما كان وجود راهبات ضروريا لتهديب نعرانيات العراق جلب القاصد

(١) في سنة ولادة تا كوهي (او بريجيتة) وقعت مناقشة بين والدها وبين مختار
الكلدان الذي كان يومئذ فرئيس قشا بخصوص بدل العسكرية او الخراج فاغتاز مختار
الكلدان من كلام خصمه ، ومنذ ذاك الحين راجع خصمه هذا رئيس طائفته الاصلي الارمني
الكاثوليكي . وهكذا انقسم البيت الى قسمين قسم بقي كلدانيا وقسم عاد الى طقسه
الارمني . وتوفيت بريجيتة في ١٤ آب سنة ١٩٢٧

المذكور راهبات تقدم العنراء النمنكيات الفرنسيات لهذه الغاية ، فيشن في سنة ١٨٨٠ من تور (فرنسة) .

اما سيدي فذهب الى بيت اهلها محاطة على تقواها واشغالها داعية الكل باشالها الى حب الفضيلة وتوخي مكرم الاخلاق . فخطبها جبرائيل بن حنوش اصفر وهو شاب مهذب يتعاطى يومئذ التجارة في البصرة وكان معروفا هو ايضا بكبريات الاعمال وجلال المبرات . فرضيت بمنز وجاه بعد ان كانت قد رفضت ايندي شيان عديدين لم يكونوا اكفاء لها ، بل كانت قد رفضت يد القاضل جبرائيل نفسه مرارا ، الا انها لما تحققت انه يابح في طلبها ، رأت في هذا اللامحاح امرا آتيا من السماء لتشيء لها بيتا مبنيا على اساس الفضيلة واعمال البر ، اذن تزوجت سيدي في البصرة في ١٠ نيسان سنة ١٨٨٣

ما كادت سيدي تقترن بالشاب اصفر الا نظمت البيت على احسن وجه وعينت بجميع الموظفين الذين يشتغلون في محل زوجها ، كما قامت بالفرائض التي كُتبت عليها لتيسير طرق التقى والعبادة وحسن السلوك على جميع الخدام الذين كانوا يستعملون في داخل البيت وكانوا عشرات ، وما كانت تفرق بين نصراني وغير نصراني ، اذ الجميع كانوا في نظرها اخوة لها لا خدما او مستأجرين ، ولهذا كنت ترى جميع المستخدمين عندها يعزونها ويكرمونها اكرام الاولاد لامهم . وكان المسلمون في دارها اكثر من النصارى واليهود لما رأوا فيها من عنايتهم بذلك الامر الذي لم يروا في سائر المحلات التي خدموا فيها .

رزقت عدة بنين وابنة واحدة ، اما البنون فلم يعيش منهم الا «البر» والابنة الوحيدة التي رزقها الله هي «جوزفين» فربت الولدين بعناية لا توصف اذ جلبت لهما معلمين في بيتها لتقوم هي ببقية ما قد انتدبت لها من امر التهذيب والتأديب . ومع كل غناها وحسن حالها ، ما كنت تراها تلبس الثياب الغنية ولا الحلي وكرائم المجارة ، بل كانت تكتفي بشباب نظيفة لا تفت بمقامها ، وكانت تكرر السهرات والمراقص والولائم والحفلات الكبيرة ، اذ كانت قد تحققت ماتحت ظواهر هذه المواسم من السعوم التي لا تبقي ولا تترك .

وكان لها ولزوجها فضلات با كابر الناس من وطنيين واجانب ولا يخلو البيت

من ضيوف ليل نهار، فكانت تقوم بواجبهم ينما كان زوجها مميتا بامور التجارة .
وفي سنة ١٩٠٦ منح الحبر الاعظم جبرائيل اصغر لقب « كنت » او كما
يقول سلفنا « كند او قد Comte » وهذا الترفيع لم يغير شيئا في حال الكندة
او الكنتس : اذ من كان مقامه من الفضل في مناط العيوق ، لا يزيدا علوا اذا
ما اقر له بالغير .

وذهب اهل البيت كله الى لندن لاشغال التجارة فلم يكن ذلك مما سبب
لاصحابه حياة جديدة غير الحياة التي الفوها في البصرة ، والذي انتفعوا منه
هو ان الابوين ادخلا ولديهما في مدرسة عالية في لندن ليتلقيا
فيها اللغة الانكليزية وآدابها ريثما يتم للاسرة انتظام امورها التجارية فجاءت
الاقامة في عاصمة الانكليز ذات فائدتين : فائدة علمية ادبية وفائدة تجارية .
رجع الجميع من ديار الغرب والمتنسبون الى هذا البيت الكريم على اتمثال
للفضل والفضيلة وكان كل واحد من اعضائه في رأس عمل بر او شركة او
جمعية . وكانت المساعدات التي تبذلها الكندة على الفقراء والموزرين فوق كل
تصوير . وكانت اليد اليسرى تجهل ما تأتيه اليد اليمنى : دع عنك اشغال البيت
التي كانت تقوم بها خير قيام ، فلقد كانت السيدة الكندة مثالا حيا للنشاط والهمة
والسمي اذ لا تدخل بيتها إلا تراها مشغولة بامور مختلفة . ولو كان عندها من
الحنم والحشم فوق ما يرى في سائر البيوت والدور ، وكلما كان الموظفون يرونها
على هذا الوجه من الكد والجهد كانوا يشطون في العمل ويتعلمون منها
تدبير الشؤون في الداخل .

والخلاصة انه صح فيها كلام سفر الامثال القائل : لباسها العز والبهاء وهي
تفرح في اليوم الاخير . تفتح فاهها بالحكمة . وفي لسانها سنة الرحمة . تلاحظ
طرق بيتها ولا تاكل خبز الكسل . يقوم بنوها فينبطونها ورجلها فيمنحها . ان
بنات كثيرات اقمن لانفسهن فضلا . اما انت فقمتن جميعا . الطرق غرور
والجمال باطل ، والمرأة المثقة للرب هي التي تمدح . اعطوها من ثمر يديها
واتمدحها في الابواب اعمالها .